

محمد أحمد بابسبيل

من معارك الإسلام الفاصلة

- ٢ -

عزوة أحد

قدم له وقام بمراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية الحديثة
اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

المطبعة التراثية - القاهرة

٢١ شارع الفتح بالروضة - القاهرة • ٨٤٠٢٦٤

(الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ)

حقوق الطبع محفوظة

المقدمة

قبس من نور الرسول القائد

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ نَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾
« القرآن الكريم »

بقلم

اللواء الركن

محمود شيت خطاب (*)

(*) الأخ اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقي ..
ولد في (الموصل) عام ١٩١٤ ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ واشترك بأربعة
وعشرين دورة عسكرية ، واجتاز دورة الأركان في العراق ، ودورة الضباط الأقدمين
(الضباط المعظم) في انكلترا ، وكان الأول على مائة ضابط من مختلف جيوش العالم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة للمسلمين ،
واقْتفاء آثاره وهدية السبيل لإنقاذهم من التخلف والضلال .

كان ولا يزال ذا نزعة إسلامية قوية ، وهو رجل صاب العود ، يعتبر مثالا حياً
للثبات على العقيدة ، سجنه قاسم العراق عام ١٩٥٩ عاماً واحداً ، نال من التعذيب
والتنكيل من الشيوعيين (في عهد قاسم) مالا يمكن لبشر أن يتحمّله ، إلا من كان على
مستوى متانة عقيدته وقوة إيمانه ... وكان من نتائج شدة التعذيب الذي ناله على أيدي
الشيوعيين ، وجود (٤٢) كسراً في جسمه .. والسبب في تعذيبه أنه مسلم صريح يكفر
بالشيوعية وكل مبدل يخالف الإسلام .. ظل صامداً في وجه الشيوعيين والديكتاتورية
رافضاً التعاون مع قاسم العراق طيلة حكمه ، حتى ثورة ١٤ رمضان ١٩٨٢ هـ التي كان
أحد العاملين فيها ... ثم أسند إليه منصب وزير البلديات والشؤون القروية ، كان أحد
أعضاء اللجنة التي أسند إليها وضع دستور للعراق في العهد الحالي وهو عضو المجتمع
العلمي العراقي ، ويحمل وسام الراقدين من الدرجة الأولى ، وهو أعلى وسام في العراق ..
له مؤلفات تاريخية وعسكرية مهنية مهمة ، منها كتاب (الرسول القائد) ، وكتاب
(القضايا الإدارية في الميدان والتدريب الفردي ليلاً) وله الآن تحت الطبع ، كتاب
(قادة الفتح الإسلامي) ويقع في سبعة أجزاء ، صدر منه الآن الجزء الأول عن قادة
فتح العراق والجزيرة . بعد كتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأفلام المسماة .
في تاريخ الرسول العسكري ، حيث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التي سلكها في وصف
المعارك التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أثبت للقارئ (بفلسفة عسكرية
شيقة) أن محمداً - بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلًا - هو أعظم قائد عسكري عرفته البشرية .
أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن في رجالنا العسكريين .

وأعماله في السلم والحرب لا يبد أن نتدارسها بإيمان ودقة ونتفهمها
كما تفهمها أصحابه والسلف الصالح من بعدهم تجسيدا حيا لتعاليم
الإسلام : عقيدة وعملاً وتضحية وجهاداً .

نتدارس أعماله ونتفهمها بعقولنا وقلوبنا معاً : بعقولنا لنعرف
الحقائق الناصعة التي حدثت (فعلاً) دون مبالغة واختلاق ، وبقلوبنا
لنلمس النور والمهدي الذين يسرا للمسلمين الأولين التقدم والنجاح .

إن الإسلام في روحه عقيدة ببناء منشئة ترتكز على (المادة) كما
ترتكز على (الروح) ، فهو دولة ودين : سيف وكتاب ، ثكنة
ومسجد ، جامعة وجامع ، أرض وسماء ، جسد وروح ، توكل وعمل ..
إيمان بالعمل المادي من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحي من أجل
الآخرة .. وإيمان بالمنطق وإيمان بالنيب .

إن الإسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل
الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ في ضمير (الفرد) وينتهي في محيط
(الجماعة) .. وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، تسيطر عليه روح
المسجد مكاناً للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم .

- ٢ -

كان العرب قبل الإسلام ماهرين في حروب العصابات . ماهرين
في استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من

مكان إلى آخر بسهولة ويسر وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية نذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل المختلفة وحتى بين القبيلة الواحدة :

وأحياناً على بكر أختينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فلما جاء الإسلام وحّد عقيدتهم ونظم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة وطهر نفوسهم ونقى أرواحهم وأشاع فيهم انسجاماً فكرياً . فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام دقيق وضبط متين بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها إخوة يتحابون بنور الله ويهتدون بهديه وهم أمة واحدة نحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الإسلام .

وكانت حياة النبي ﷺ بمكة بعد بعثه حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته بالمدينة بعد هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

واستطاع الرسول القائد في حياته توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام واستطاع أصحابه من بعده بعد سنين قليلة نشر سلطانهم في المشرق والمغرب .

— ٣ —

لقد انتصر العرب المسلمون على العرب في أيام النبي ﷺ ، كما انتصر العرب المسلمون على الساسنة والناذرة من العرب وعلى الفرس والروم من بعده ، ولم يكن انتصارهم لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم

عرب مسلمون ، فهو انتصار عقيدة لا،راء : عقيدة غرست في نفوسهم حب الضبط والنظام ، وحببت إليهم الاستشهاد في سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم (رسالة) واجبة الأداء للعالم .
هذه العقيدة التي ملأت قلوبهم في ميلا سيرهم ونهايته وصحبته من (بدر) في الحجاز إلى (بلاط الشهداء) في فرنسا ، وخالفتهم مشرقين ومغربين وهازمين ومهزومين ، وجعلتهم يثقون بوعد الله لهم في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل .

لقد تقبل العرب الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والجهاد والتضحية والفداء ، لذلك سادوا العالم ودونخوا الدنيا ، فلما أصبحوا يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه خسروا كل شيء وأصبحوا أذلاء مستعبدين حتى في ديارهم ، فما أحرانا أن نتفهم الإسلام ونتفهم حياة النبي الكريم ﷺ التي هي التطبيق العملي للإسلام كما تفهم ذلك الصحابة والسلف الصالح لنستعيد مكانتنا التي كانت للصحابة والسلف الصالح من قبل ؟ .

- 4 -

وما دنا بصدد غزوة (أحد) موضوع هذا الكتاب فما الذي نفتبسه من دروس وعبر . حكاما ومحكومين . قادة وجنوداً ، من جهاد النبي ﷺ وجهوده وجهاد أصحابه وجهودهم رضوان الله عليهم في هذه الغزوة بالذات .

كان هدف المشركين في غزوة (أحد) هو أخذ ثاراتهم من المسلمين ،

وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم حماية لحرية نشرها ،
لذلك كانت حرب المشركين حرباً عدوانية وكانت حرب المسلمين
حرباً عادلة^(١)

وكان المسلمون يؤمنون بعقيدة واحدة أشاعت فيهم الانسجام
الفكري والعلمي ، أما المشركون فلا عقيدة لهم تشيع فيهم هذا الانسجام .
وكانت قيادة الرسول ﷺ في هذه المعركة نموذجاً حياً للقيادة
الواعية المثالية : حصل على المعلومات عن عدوه ، وعقد المؤتمرات الحربية
وأصدر قرارات سريعة جازمة وتمسك بها ، ووضع خطة واضحة دقيقة
وأصدر أوامر حاسمة صريحة ، وسيطر على أعصابه في أحلك الظروف ،
وثبتت بأسباب رفع المنويات وأبدى شجاعة خارقة .

إن قيادة النبي الكريم في معركة (أحد) تبهر أنفاس كل مفكر
عسكري وقائد إعجاباً بها وتقديراً لمزاياها . .

لقد اضطرت عبقرية الرسول القائد وعبقرية خالد بن الوليد في
(أحد) ، فكانت الغلبة لعبقرية قيادة النبي القائد على عبقرية الصحابي
القائد^(٢) .

فقد كان خالد قائد فرسان المشركين في (أحد) وكان التفوق
العددي إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بفضل

(١) الحرب العادلة : حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلاماً نحو شعب آخر ولم يشأ
أن يرفعه ، ويشترط فيه أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلام
دائم ، ووجوب احترام حياة وأموال الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن ، فهي
إذاً حرب دفاعية ، والحرب العدوانية بمكس ذلك ، انظر قوانين الحرب والحياد :
(٢) كان خالد — بعد أن أسلم من أكابر الصحابة الفاتحين ، وستأتي ترجمته إن
شاء الله .

قيادة الرسول ﷺ أن يدحروا المشركين في الصفحة الأولى من المعركة حتى أخذ المسلمون ينتهون معسكر المشركين ، مما جعل بعض رماة المسلمين يتركون مواضعهم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين ، فانتهاز خالد فرصة انسحاب هؤلاء الرماة لضرب المسلمين من الخلف ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب بقوات المشركين المتفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً ، في هذا الموقف الرهيب العصيب بالنسبة للمسلمين . يبرز اصطرع عبقرية القائد العظيم ، فينجح الرسول القائد في إنقاذ أصحابه من هلاك أكيد ، ويفشل خالد في القضاء على المسلمين ، ولولا مخالفة الرماة لأوامر الرسول ﷺ الصريحة الجازمة في الثبات حتى النهاية في مواضعهم ، لاستحال على خالد أن يوفق في ضرب المسلمين من الخلف ولما كان له في هذه المعركة من أثر ملموس .

واصطرعت عبقرية القائد العظيم في (الخندق) وفي (الحديبية) أيضاً ، فانتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم في الوقت الذي ظهر للرسول ﷺ فيهما أثران حاسمان ، في كل معركة أثر حاسم .

ولست أعرف قائداً في تاريخ العرب والمسلمين غير الرسول القائد ﷺ يمكن أن يفضل على القائد العبقرى خالد بن الوليد .

تلك هي عوامل انتصار المسلمين تحت قيادة رسول الله ﷺ ، حرب عادلة دفاعاً عن حرية نشر الإسلام وتوطيداً لأركان السلام ، تقابلها من جانب المشركين، حرب عدوانية انتهاكاً للحرمات وطلباً

للنارات والمغانم ، والنصر دائماً للحرب العادلة على الحرب العدوانية
في المدى القريب أو البعيد .

وعقيدة منشئة بناءة تدعو للسلام وتأمراً بالمعروف وتنهي عن المنكر
وتساوى بين الناس ، تقابلها من جانب المشركين عقيدة فاسدة تدعو
للعصبية ونبش بالفرقة العنصرية وتحث على الظلم والعدوان ، والنصر
دائماً للحق على الباطل ، وللنور على الظلام ، وللخير على الشر ،
وللخلق الكريم على الخلق الذميمة .

وقيادة رشيدة فذة لا ينافسها في كفاءتها منافس ، تقابلها قيادات
ضعيفة منحرفة يتنافس أصحابها على حب الظهور والسيطرة والسلطة
والسلطان .

- ٥ -

بقي علينا أن نتعلم عبرة (أحد) في مخالفة الأوامر والتعلق بمتاع
الحياة .

فقد كان السبيان المباشرين لانتكاسة المسلمين في (أحد) هما :
مخالفة الأوامر أولاً وعدم مطاردة المشركين بعد انتصارهم عليهم
في الصفحة الأولى من صفحات القتال يوم (أحد) .

لقد أخطأ رماة المسلمين خطأ لا يغتفر في مخالفتهم لأوامر
الرسول ﷺ الصريحة الجازمة وانسحابهم من مواضعهم الأصلية
لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم هذا لما استطاع خالد بن الوليد ضرب
مؤخرة المسلمين ، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين وتكبيدهم
سبعين من الشهداء .

إن مخالفة الأوامر في (أحد) درس لأبنسي عن نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر في الحرب ، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس .

كما أخطأ المسلمون خطأ لا يفتخر أيضاً في عدم مطاردة المشركين بعد فرارهم من موضعهم وابتعادهم عن معسكرهم لكي يجمعوا الغنائم والأسلاب .

ولو أن المسلمين طاردوا المشركين إلى أمسافة مناسبة لقضى على أكثرهم قتلاً وأسرأً ولأصبحت مخلفات المشركين في متناول أيديهم بعد القضاء على قواتهم الضاربة ^(١) .

تري أنعتبر بهذين الدرسين المفيدين في هذه الأيام نغض عن المتاع المادى مؤثرين عليه ما عند الله ، فما عند الناس لا يبقى وما عند الله نعيم وأبقى .

- ٦ -

إن قصة حياة أبطال العرب والمسلمين وعلى رأسهم بطل الأبطال ورجل الرجال سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه تبهز العقول والأبصار .

فهل ستصمت الأصوات المنكرة التي عملت جاهداً تهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخاً وتراثاً من وراء الحدود ، أم على قلوب أقبالنا ؟ أما الذين هدام الله ، فسيقولون بفخر واعتزاز ؛ : (أرسلتك آباءى فجئنى بمثلهم) .

(١) انظر تفاصيل غزوة أحد في كتاب : الرسول القائد - لكاتب المقدمة :

وأما الذين في قلوبهم مرض ، من الذين ارتفعت أصواتهم المنكرة
الريبة يدعون إلى رجال غير رجالنا ، وقادة غير قادتنا ، وأفكار غير
أفكارنا ، ومعتقدات غير معتقداتنا ، فيجب أن تُخرس - بطولات ،
وإيمان أجدادنا الغر الميامين - ألسنتهم وتُسكت أصواتهم إلى الأبد .

والحمد لله الذي يسر للأخ الأستاذ محمد أحمد باشميل أن يكتب
صفحات رائعة من حياة الرسول القائد ﷺ بهذا الأسلوب الرائع
وهذا الفهم السليم .

وهذا الكتاب الذي أقدمه اليوم أقوى ما أكون أملاً في أن يملأ
فراغاً وأن يسد حاجة سيتاوه للمؤلف (بمشيئة الله) كتب عن المارك
الحاسمة التي شهدها النبي ﷺ في حياته والتي شهدها المسلمون من بعده
فحملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسة غرباً إلى حدود
سبيرييا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

وفق الله الأخ الأستاذ الجليل محمد أحمد باشميل وسدد خطاه
وأعاناه على تحقيق أمانيه في خدمة العرب والمسلمين .

اللواء الركن

محمود شيت خطاب (١)

عضو المجمع العلمي العراقي

(١) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب قادة الفتح الإسلامي عن قادة فتح العراق
والجزيرة - لكتاب المقدمة - صدر عن دار القلم بالقاهرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلام المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد سيد الأولين
والآخريين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأبطال الميامين
الذين قال الله تعالى في حقهم - ثناء عليهم - ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ﴾ .

وبعد ، لقد من الله علينا في مثل هذا الشهر المبارك من السنة الماضية
(١٣٨٢هـ) فأصدرنا كتاب (غزوة بدر الكبرى) وهو الكتاب الأول
من سلسلة (معارك الإسلام الفاصلة) التي اعتزمنا بعون الله تعالى
إصدارها تباعاً لنضع بين يدي هذا الجيل (وخاصة الشباب الناشئ)
صفحات رائعة وضاعة مشرقة من تاريخ هذه الأمة الإسلامية المجيدة ..
صفحات تحالف على طمسها وعقد العزم على مسخها أعداء من الداخل
وخصوم من الخارج فافتقدها الطالب المسلم في فصل المدرسة ومدرج
الكلية ، وحيل بينه وبين العثور على هذه الصفحات (بأسلوب وآخر)
حتى في غير المدرسة والكلية ، فنشأ جاهلاً (كل الجهل) بتاريخ دينه
القويم وأخبار صفوة أمته المجيدة .

وتلك أغلى أمنية نتحقق للعدو الحريص على محو الإسلام وإلغاء شخصية الأمة الإسلامية .

إننا (بعون الله تعالى ، وفي محاولة نرجو أن تكون موفقة لخدمة التاريخ الإسلامي) نضع الآن بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب (غزوة أحد) وهو الكتاب الثاني من سلسلة كتاباننا عن (معارك الإسلام الفاصلة) .

وإنك سترى في هذا الكتاب تفاصيل معركة رهيبة خاضها الرسول القائد ﷺ بنفسه وأصيب فيها بجراحات بليغة ، كما تعرضت فيها حياته الغالية للخطر ، كما فقد ﷺ في هذه المعركة الطاحنة ، ساعده الأيمن فارس الفرسان وبطل الأبطال عمه (حمزة بن عبد المطلب) رضی الله عنه .

لقد صهر الله (في وقائع هذه المعركة الرهيبة) صحابة محمد والمنتسبين إلى دينه كما يصهر التبر في بوتقته ^(١) الحامية لنفي الخبيث عنه وتصفيته :

(ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) ^(٢) .

نعم لقد ذاق محمد ﷺ وأصحابه رضی الله عنهم (في هذه المعركة) حلاوة النصر ثم تجرعوا مرارة الهزيمة ، كما أخذوا دروساً قاسية من عواقب العصيان المريرة ومخالفة الخطط المرسومة للمعارك .

(١) البوتقة ، الوعاء الذي يذيب الصائغ فيه المعدن :

(٢) آل عمران : ١٣٨

لقد كانت معركة أُحُد (بحق) سلسلة من الامتحانات القاسية ،
سببت لها مفاجآت مثيرة وتحولات ومباغئات مذهلة غير منتظرة ، امتحن
الله بها صفوة هذه الأمة في مختبر المصائب والنكبات ، فابتلاها بأنواع
من القتل والجرح والاندحار ، ليختبرها (وهو الأعلَم بها) :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين)^(١) .

ولقد ظهرت في معركة أُحُد أنواع من البطولات الإسلامية وضروب
من التضحية والبذل والفداء . لم تشهد الدنيا لها مثيلاً ، كما سيرى
القارئ تفاصيل ذلك في هذا الكتاب .

وإنها لدروس في الصدق والإيمان بالله والوفاء بالعهد والإخلاص
للعقيدة والتضحية في سبيل المبدأ ، سجلها (في هذه المعركة) أولئك
الأجداد البررة ، دروس جديرة بأن يعيها الأحفاد ويترسموا خطاها
ويبتدوا بها ، إذا ما كانوا راغبين (حقاً) في تحقيق الخير لهذه الأمة
وتوفير الأمن والرخاء والسعادة والعزة والاستقرار لها .

إن التاريخ (دائماً) مرآة ننعكس فيها حقيقة كل أمة ويظهر
فيها واقع كل جيل ..

وكل أمة واعية لها ماضٍ مجيد ، فإن رجال الحكم المخلصين فيها ،
وقادة الفكر وأساطين العلم الأماناء ، يحرصون دائماً على نشر هذا الماضي
وتجسيده تجسيداً كاملاً ، أمام أجيالها ، فيعملون على تغذية عقول
الشباب (وخاصة المثقف منهم والعسكريين) بأخبار ذلك الماضي المجيد
في كل وجبة من وجبات غذائهم الفكري والثقافي لتواكبهم صور ذلك

(١) آل عمران : ١٤١ :

الماضي المجيد المشرق في جميع مراحل تكوينهم العقلي والروحي والثقافي
والعسكري .

، إن نظر الأحماد (بتمعن وتفهم) في تاريخ الأجداد الملى ، بروائع
المجد والفخار والزائر بأخبار البطولة والثبات على العقيدة لهو من أكبر
العوامل التي تنشط في نفوس الشباب المسلم عناصر طلب المعالي ،
وتحفزهم على التخلق بأخلاق أولئك الأساطين البررة (الذين نحوا
القياصرة والأكاسرة عن مقبض قيادات العالم فقادوا الدنيا قيادة حازمة
حكيمه عادله) وتوجب إليهم التمسك بالمبادئ التي بنى عليها أولئك
الأجداد دعائم مجد الأمة الإسلامية الذي كان ولا يزال حديث الدنيا .

إننا مرة أخرى نيبس بالحكام المخلصين لشعوبهم ، الصادقين في
إيمانهم بدينهم ، ونأمل من قادة الفكر وأسانذة التربية في الأمة
الإسلامية (وخاصة العربية منها) أن يعملوا - جادين - على رفع الحظر
الذي وضعه خصوم الإسلام على تدريسه التاريخ الإسلامي تدريساً يبنى
بالغرض المطلوب ويحقق الثمرة المرجوة ، أيام تسلطهم (فكرياً وسياسياً)
على أكثر أقطار عالمنا الإسلامي .

إن شبابنا المثقف لا يزال (حتى هذه اللحظة) يعاني نقصاً كبيراً
ويحس بفراغ هائل في معلوماته عن التاريخ الإسلامي ، وتلك إحدى
ركائز الانحراف الذي يشاهد في كثير من المثقفين عصرياً ، الذين
كان مصدر انحرافهم هذا : افتتانهم بكل ما هو أجنبي .

لقد ارتكبت في حق التاريخ الإسلامي (منذ بداية هذا القرن)
ولا تزال تُرتكب حتى هذه اللحظة ، جنائتان كبيرتان ، ارتكبهما
فريقان من أبناء الأمة الإسلامية نفسها .

فريق جعل من نفسه (باسم العلم) أداة طمس وتشويه للتاريخ الإسلامي ، حيث عمل (بحكم منصبه القيادي في المدرسة والجامعة) على حرمان الطالب المسلم من معرفة أى شىء مفيد عن التاريخ الإسلامى بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا العمل التخريبي ، فقد حثى أذهان الطلاب (في جميع مراحل نهم الفكرى والثقافى) بوقائع تاريخ غير تاريخ أمتهم ، وزعم مخيلاتهم بصور بطولات رجال لا يمتنون إلى دينهم أو وطنهم بأية صلة ، وبهذا (وكما يريد الأجنبي المستعمر) قُطعت الصلة بين الشباب المسلم (المثقف عصرياً) وبين تاريخ دينه القويم وماضى الأماجد من قادة أمته وأبطالها^(١)

وفريق وهم الرجعيون (وهذا هو التعبير الصحيح للرجعية) يتكلمون بلفتنا ، بل وينتسبون إلى ديننا ، أرادوا أن يرجعوا بنا إلى ما قبل بزوغ شمس الإسلام . فتخطوا مروج التاريخ الإسلامى الزاهرة ، الفواحة بعبير المجد الصحيح وشذا العزة الحقيقية ، واجتازوا مناطق إشرافات هذا التاريخ المجيد مغمضين أعينهم ، ثم انحدروا إلى زوايا التاريخ المظلمة ، حيث امتزجت نخرايا أبى جهل بحماقات أبى لب و اختلطت مبادئ كيلوباترا بخرافات أبى الهول .

فقد أراد هذا الفريق أن يجعل من نعرات تلك العهود السوداء المظلمة (عهود الجاهلية الأولى) مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً تسير عليه (في حياتها) أمة محمد بن عبد الله صاوات الله وسلامه عليه .
أقصد تجاهل هذا الفريق (عن قصد وإصرار) التاريخ الإسلامى ، وعمل (ما سنحت له الفرصة) على إلغائه ومحوه من ذهن الطالب المسلم ،

(١). انظر مقدمة كتابنا - غزوة بدر الكبرى :

واستبعاد مادة هذا التاريخ من جميع وجبات الفكر والثقافة ، عند تقديم هذه الوجبات لتغذية عقل الطالب المسلم ، ابتداءً من أول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة .

بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا ، فقد سطا على التاريخ الإسلامي (كما يسطو اللصوص وقطاع الطرق) فجرد جيده من كل ما يزينه من روائع أمجاد المسلمين وأخبار بطولات الفاتحين وواقعت أفكار العلماء الصالحين ، ثم ألقى بها في جيد تاريخ جثة شوهاء ، هي العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة البغيضة .

فصارت بطولة خالد بن الوليد وشجاعة سعد بن أبي وقاص وفروسية علي بن أبي طالب وعدل عمر بن الخطاب وغيرهم من عظماء الإسلام وقادته (وحى روائع حياة النبي الأعظم ﷺ) يحط لسانه بها هذا الفريق (لا للاستشهاد بها على عظمة الإسلام وأصالة عقيدته وترغيب الناس فيه والدعوة إليه باعتباره المصدر الوحيد الذي كَوَّن هؤلاء الأبطال وصنع هؤلاء العظماء الذين حشوا فم التاريخ بذكرهم العاطرة) وإنما لصد الناس عن هذا الدين ، والدعاية لهذه العصبية الكريهة والعنصرية الضيقة المقيتة ، على اعتبار أن ما حققه هؤلاء العظماء والقادة هو جانب مشرق من جوانب تاريخ هذه العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة وثمرات جهادها ، وباعتبار أن هؤلاء العظماء والقادة هم مؤسسو هذه العصبية اللادينية ومشيدى أركان هذه العنصرية اللاأخلاقية ، وتلك لعمر الحق أحط أنواع السرقة والاختلاس .

ودليلنا على ذلك ، هو أن هذا الفريق يتجاهل الإسلام ولا يشير إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، عندما يحط لسانه ويتشلق بعظمة

أبطال وقادة الإسلام هؤلاء ، بل إن هذا الفريق لتعمر وجوههم ويعلموها الاكفهرار فيهمهمون همهمة السجرة ويزمزمون زمزمة المشوذين ويلوون رؤوسهم عندما يجابههم أحد بالقول بأن علياً وسعداً ونخالداً وعمراً وطارقاً وصلاح الدين وغيرهم من أبطال هذه الأمة وقادتها المظفرين ، لم يتربعوا على القمة في تاريخ الخالدين إلا بعد أن اتخذوا من الإسلام ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة وسيفاً وكتاباً وفكراً وسياسة ، وأن تجاهل الإسلام وإخراجه من الحساب (عن قصد مبيت) عند الإشادة بهؤلاء الأبطال والقادة هو من العقوق المشين وغمط الحق وتزوير التاريخ ، لأن بطولة هؤلاء الأبطال وأمجاد أولئك القادة مرتبطة بالإسلام ارتباط الجسد بالروح ، فلولا الإسلام ، ما كان لهؤلاء القادة والأبطال ذكر في دنيا المجد والبطولة والفخار .

فقد كان كثير من هؤلاء الأبطال موجودين قبل الإسلام فما هي حصيلتهم من المجد والبطولة والسمو يوم ذاك ٢٢ .

لاشئ ..

إذن .. فلتنخرس تلك الأصوات المحنونة التي تحاول أن تجعل من هؤلاء القادة والعظماء الميامين ، أبطالاً وطنيين صنعتهم خصائص العنصر ومزايا الدم ، متجاهلة دور الإسلام الرئيسي وفعالية زخم عقيدته البناءة في تكوين هؤلاء العظماء والقادة وبناء كل ما سجلوه لهذه الأمة من مجد وفخار وذكرى عاطرة .

إن وقوف هذا الفريق (المنتسب إلى الإسلام) من الإسلام وتاريخه هذا الموقف ليس فيه أية خدمة لهذه الأمة أو هذا الوطن .
ولمّا فيه الخدمة (كل الخدمة) لخصوم هذه الأمة وأعداء هذا

الوطن ، من شيوعيين حاقدين وصلبيين مستعمرين ، الذين لا يبلج صدورهم ويغمر نفوسهم بالبهجة والسرور شيء مثل أن يروا أبناء الإسلام (وفي وطن الإسلام) يتولون بأنفسهم محاربة هذا الدين وخنق صوته ومحو معالم تاريخه وإهالة التراب على كنوز هذا التاريخ الغالية الثمينة .

فهذه غاية ما يبتغى هؤلاء الأعداء وأقصى ما يتمنون .

فمحاربة الإسلام ومصادرة تاريخه لمنعه (بأيدي أبنائه) من الظهور في مقررات التدريس في فصل المدرسة ومدرج الكلية ، يسهل لهؤلاء الأعداء (على اختلافهم في المقاصد والغايات) نشر مذاهبهم المدامة وثقافتهم المخربة المنحلة بين طلبة هذه الأمة .

لأن الأمة (أية أمة) إذا ألقت شخصيتها ، بنفض يدها من عقيدتها التي هي مصدر تكوين هذه الشخصية ، وتنكرها وتجاهلها لتاريخها الذي يمد هذه الشخصية بطاقات الحيوية والاستقلال الذاتي ، فإنها ولا شك تضطر للبحث عن (عقيدة جديدة) لتكوين شخصيتها الجديدة وصيغ هذه الشخصية بلون العقيدة الجديدة ، لأن أية أمة لا يمكن أن تكون لها شخصيتها المستقلة إلا في إطار عقيدة تستظل بظلها وتهتف باسمها .

ثم إنه لا بد لهذه الأمة (بعد تنكرها لتاريخها ومحوها لمعالمه) من النظر في تاريخ أبطال وقادة وساسة ومفكرين يكونون مثلها الأعلى وقدوتها في كثير من شؤونها ، ولا بد - والحال هذه - من أن تتجه إلى خارج محيطها وتفتش في غير تاريخها بحثاً عن هؤلاء القادة والأبطال والساسة والمفكرين .

وهذا هو الذى حدث بالفعل (داخل الوطن الإسلامى الكبير) لكثير من الشعوب التى ألغت شخصيتها الإسلامية المتمثلة فى إسلامها (كدين ودولة وخلق ومعاملة وتاريخ وعقيدة) .

فقد شهدت مناطق كثيرة من هذا الوطن الكبير فيوضات مختلفة من المذاهب الأجنبية المستوردة وأدُفكار الدخيلة المستهجنة والعقائد الغريبة المستنكرة ، حاول مستوردوها أن يبنوا (فى ظلها) لأنفسهم ولشعوبهم شخصية جديدة مستقلة بعد إلغاء شخصيتهم الإسلامية .

ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً ، فصاروا كالغراب الذى حاول تقليد الحمام فى مشيته فصار يتخبط (بعد أن ألغى مشيته الأصلية) فلا هو احتفظ بمشيته الطبيعية التى هى جزء من تكوينه ولا هو أجاد مشية الحمام ، وإنما بقى حائراً متخبطاً بين بين .

وما تعانیه هذه الأقطار (التى ألغت شخصيتها الإسلامية وتكررت لتاريخها الإسلامى وأهالت التراب عليه) من قلق واضطراب وعدم استقرار فى شتى نواحيها ، ليس له سبب إلا أن قادتها ومفكرها المسؤولين حاولوا أن يكونوا لها شخصية جديدة ، قوامها مزيج من مذاهب وعقائد وأفكار عربية دخيلة ، ترفضها طبيعة هذه الشعوب ولا تنسجم معها فى قليل أو كثير .

وإن اليوم المشهود الذى تبدأ فيه هذه الأمة سيرها فى الطريق المستقيم ، طريق الوحدة والتكاتف والعزة والاستقرار هو اليوم الذى تعود فيه هذه الأمة إلى إطار شخصيتها الإسلامية الحقيقية التى قوامها عقيدة القرآن ، وترى عنها أثواب كل الشخصيات الأجنبية الدخيلة

المستعارة ، التي قوامها عقائد ومذاهب وأفكار هي أساس الشخصية الإسلامية على طرفي نقيض ، وتفتح صفحات تاريخها الإسلامي المجيد لتنتشر موجات نوره الساطع في فصل المدرسة ومدرج الكلية ومقعد النادى وثكنة الجيش ، لينظر فيه الطالب بوعى وتبصر وفهم وإدراك ليستخلص من روائع هذا التاريخ ما يكون له حافزاً ومشجعاً على التمسك بالمبادئ القويمة والعقائد البناءة المستقيمة التي صنعت أولئك الأفاضل من الأبطال والقادة والمفكرين الذين قامت على كواهلهم دعائم هذا التاريخ المشرق الشامخ الذى لا يزال فم الدنيا محشواً بذكره العاطرة ، وفي مقدمتهم الأبطال الأوائل من صفوة هذه الأمة (المهاجرون والأنصار) الذين خاضوا (بضراوة يمدحها زُحْر الإيمان) معركة المصير هذه - معركة أحد - التي هي موضوع كتابنا هذا ، والتي نرجو أن نكون (بوضع تفاصيل هذه المعركة بين يدي الشباب المؤمن بربه ودينه والمعزز بتاريخه) قد أدينا بعض ما يجب علينا نحو ديننا وأمتنا وتاريخنا .

والله أسأل أن يمدنا بعونه وتوفيقه وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يجنب أعمالنا عيوب السمعة والرياء المحبطة إنه سميع مجيب ، (وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)^(١)

رمضان المبارك ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م .
محمد أحمد باشميل
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية .

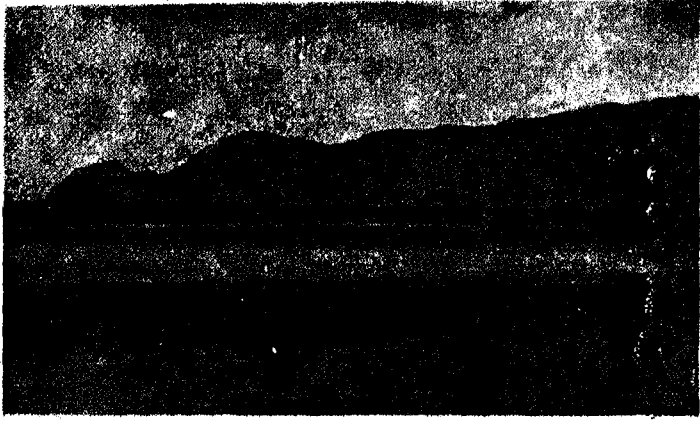
(١) الجلية : ٣٦ .

أحد

أحد (بضم أوله وثانيه) جبل شهير من جبال المدينة المنورة ، ويقع هذا الجبل في شمال المدينة ، ويقع على بعد حوالى أربعة كيلو مترات منها .

ويفصل جبل أحد عن المدينة وادى قناة الذى يأتي من شرق المدينة الذى يمر حذاء جبل أحد متجهاً نحو الغرب حتى يصب في زغابة . أما وصف جبل أحد الطبيعي ، فهو صخرى من الجرانيت وطوله من الشرق إلى الغرب ستة آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى ، من كثرتها يكاد الناظر إليه ، يتخيّلها جبلاً شبه مستقلة ، أو يخيل إليه أن أحداً هذا هو عبارة عن جبال كبار وصغار مرتبطة بعضها ببعض ، ومن مجموعها العموى تشكلت وخذة هذا الجبل .. ومن تلاحظ هذه الجبال ووجود منفرجات بينها تكونت في أحد المهاريس التي هي نقر طبيعية لحفظ المياه المتحدرة من أعالي الجبل^(١) . وقد وقعت المعركة بالقرب من سفوح هذا الجبل من الناحية الجنوبية في بطن وادى قناة وما حواليه من السهول .

(١) آثار المدينة المنورة ص ١٤١ للسيد عبد القادوس الأنصارى .



منظر عام بجانب من جبل أحداء وقد ظهر أمامه الفضاء الواسع
الذي يقع بينه وبين المدينة .



المؤلف يتسلق إحدى هضاب جبل أحد أثناء تجواله حول مواقع المعركة

وقد ورد في الحديث الشريف «أحد جبل يحينا ونحبه» .

وفي فم الشعب من هذا الجبل عسكر النبي ﷺ بجيشه ، وبهذا احتل مركزاً مرتفعاً ممتازاً أجبر المشركين على قبول المعركة عنده ، مما ساعد المسلمين على إنزال الهزيمة بالمشركين في الصفحة الأولى من المعركة ، ويسر لهم الانسحاب بانتظام إلى هضاب جبل أحد بعد الانتكاسة .

وفي فم الشعب من أحد توجد مقبرة الشهداء الذين صرعوا في معركة أحد ، ولا يعرف الآن (على وجه التحديد) من قبور هؤلاء الشهداء ،



الواقف في جدول الماء من بطن وادي قناة ، هو الشيخ سيف بن سعيد الباني رئيس هيئة الأمر بالمعروف في المدينة الذي تكرم مشكوراً فساهم مساهمة كبيرة في إرشادنا إلى أماكن كثيرة لما علاقة بالمعركة كنا نجعلها .

سوى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش رضي الله عنهما اللذين دفنا في قبر واحد ، ويوجد هذا القبر على مرتفع من فم الشعب مما يلي وادي قناة ، وتقع شمال هذا القبر مقبرة الشهداء الآخرين رضي الله عنهم .

جبل عينين

أما جبل عينين ، وهو المسمى بجبل الرماة ، فهو جبل صغير يغلب عليه لون الاحمرار ، وهو يقع جنوب قم الشعب الذي اتخذته الرسول معسكراً لجيشه قبل المعركة ، ويبعد عن نقطة هذا المعسكر حوالى ستين متراً ، ويقع هذا الجبل على الضفة الجنوبية لوادى قناة الذى يفصل بينه وبين جبل أحد .

وفى جبل عينين هذا أمر الرسول ﷺ أن تتمركز فصيلة من رماة النبل قوامها خمسون رامياً ، وقد تمركزت فى الجبل بقيادة عبد الله ابن جبير^(١) ، وقد كان هدف الرسول من تمركز هؤلاء الرماة فى هذا الجبل حماية مؤخرة المسلمين من أن تضر بها خيالة المشركين من الخلف عند احتدام المعركة .

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى الأنصارى أحد البدرين ومن الذين شهدوا بيعة العقبة فى منى ، استشهد رضى الله عنه عندما عصاه جنده من الرماة وتركوا الجبل وثبت هو مكانه حتى كر عليه خالد بن الوليد بفرسانه الذين قاتلهم حتى قتل ومن ثبت من الرماة رضى الله عنهم .

الفضائل الأولى

مجموع الأحداث السياسية والعسكرية

بين معركة بلتر وأحد

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد بها يهوداً (1) توطنوا فيها ،
وعلى الرغم من الاختلاف الذى بين الإسلام واليهودية ، فإن النبي ﷺ ،
لم يتخذ (ابتداءً) ضد اليهود أى موقف من مواقف النقي أو التضيق
أو المصادرة (بسبب الاختلاف فى الدين) .

(1) اليهود هى الأمة المشهورة فى تاريخ العالم بينى إسرائيل ، أصلهم من الساميين ،
وحلوا تحت قيادة إبراهيم عليه السلام ، فى القرن (الثالث والعشرين) قبل الميلاد ،
ونزلوا بأرض كنعان (جنوب الشام) وقد نكأ اليهود بمصر أيام حكم نبي الله يوسف
لما ، وذلك أن يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب (الذى هو إسرائيل) فقد أحضر
يوسف بنى إسرائيل إلى مصر (باعتبارهم إخوة له كما هو مشهور) فتكاثروا فى مصر
لأنهم مكثوا فيها أربعة قرون ، ولكنهم بعد ذلك لقوا من ملوك مصر اضطهاداً فأرسل
الله إليهم موسى فأنقذهم من فرعون كما هو معروف فى القرآن .. ويرجع عهد وجود
اليهود فى المدينة (كما جاء فى دائرة معارف فريد وجدى) إلى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح ،
وذلك أن موسى وهو فى طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة منهم لتكشف له تلك الجهات
فساروا إليها وبلغهم موته ثم ساكنوا العرب فى أرضهم (يثرب) .

بل رضى (عن طيب خاطر) أن يبقى هؤلاء اليهود في المدينة ،
(مواطنين) أحراراً لهم دينهم وللمسلمين دينهم ولم يحدث أن أجبر
الرسول ﷺ أحداً من هؤلاء اليهود على الدخول في الإسلام .

المعاهدة بين الرسول واليهود

بل لقد ذهب ﷺ إلى أبعد من هذا ، حيث عقد مع هؤلاء
اليهود (رغبة منه في شيوع السلام في المنطقة) معاهدة تضمنت عدم
الاعتداء والدفاع المشترك عن منطقة يثرب .
ومن أهم بنود هذه المعاهدة :

أ - الدفاع المشترك

فقد جاء (في المعاهدة) بهذا الخصوص .
وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجارُ قريش
ولا من نصرها ، وأن بينهم (أى المسلمون واليهود) النصر على من
دهم يثرب .
وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه .
وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن بينهم
النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (أى صحيفة المعاهدة)
وأن بينهم النصح والتصبحة ، والبرّ دون الإثم ، وأن على اليهود
نفتنهم وعلى المسلمين نفقتهم .

ب - عدم الاعتداء وحسن الحوار

وجاء (في صلب المعاهدة) بهذا الخصوص .

« وأن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة . وأن الجار كالنفس . غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأنه لا يحول هذا الكتاب (أى صك المعاهدة) دون ظالم أو آثم . وأنه من يخرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة . إلا من ظلم (بفتح أوله) أو آثم » .

ج - حرية العقيدة للفرقيين

وهذا الشأن جاء (في صلب المعاهدة) .

« وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم (بفتح أوله) أو آثم فإنه لا يوتغ (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن بطانة يهود كأنفسهم » (١) .

وكانت هذه المعاهدة قد عُقِدَتْ بين المسلمين واليهود عقب هجرة

النبي ﷺ من مكة وقبل معركة بدر .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

سلسلة المتاعب الداخلية

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة ، وفعلاً لم يأت من جانب المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها .

ولكن اليهود ، بعد انتصار المسلمين في بدر أخذ القلق يساورهم ، وازداد حقدهم على الإسلام والنبي ﷺ ، وخافوا أن يجمع النبي الناس على الإسلام ، فيهدم بذلك سيطرة اليهود المادية والسياسية المبنية على تفرق العرب وتناحرهم وعصبيتهم وتقاتلهم المشهور في الجاهلية .

ولهذا عادت لليهود طبيعتهم المشهورة في نكث العهود ، وبتك الموائيق ، وأخذوا يفكرون (جدياً) في الكيد للإسلام والإطاحة بالنبي وأتباعه ، بالرغم من الموائيق التي أبرموها والعهود التي أعطوها .

اليهود يتقضون المعاهدة

وهكذا صار المسلمون (بعد انتصارهم في بدر) يواجهون سلسلة من المتاعب والقتال داخل المدينة التي اجتهد اليهود (يساندهم المنافقون) في إثارتها لإشغال المسلمين وتفريق كلمتهم .

لقد كان الرسول حريصاً على أن يستتب الأمن في المدينة . وأن يتعايش سكانها (على اختلافهم في الدين) تعايشاً سلمياً كما هي طبيعة دعوة الإسلام وليتفرغ لمواجهة الهجمات التي كان يتوقعها من مشركي العرب ، وخاصة أهل مكة الذين بات من المؤكد (لدى المسلمين) أنهم

سيقومون بحرب شاملة^(١) ضدهم ليردوا اعتبارهم الذي فقدوه فى معركة بدر.

ولكن اليهود (على الرغم من تظاهرهم بحب السلام ورغبتهم فى التعايش مع المسلمين سلمياً) أخذوا يبحثون لهم كل يوم عن متاعب جديدة، فصاروا يثيرون القلاقل ضد النبى ، ويتحدون شعور المسلمين ويستفزونهم.

بل إن البعض من هؤلاء أخذ يدعو (علناً) إلى محاربة المسلمين ، ويغرى قبائل العرب الوثنية بهم ويحرضهم على قتالهم ، خلافاً لنصوص المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود .

وكان المسلمون (مع هذا) يقابلون كل ذلك بصبر عظيم وحلم واسع ، ويحاولون (جهدهم) تذكير اليهود وإعادتهم إلى جادة الصواب بالطرق السليمة .

ولكن اليهود تمانوا فى غيهم ، وازداد طغيانهم ، فتوسعوا فى تحرشاتهم بالمسلمين وأكثروا من تحدياتهم واستفزازاتهم .

فتنة يهود بنى قينقاع

وكان بنو قينقاع (وهم من سكان المدينة) أول من أثار الشغب على

(١) قال اللواء الركن محمود شيت خطاب : الحرب الشاملة أو الحرب الاجتماعية مصطلح عسكري يراد تحشيد كافة الإمكانيات المادية والمعنوية لنيل النصر فى الحرب ، وكان الألمان يباهون الأمم بأنهم أول من طبق هذه الحرب ، فى الحرب العالمية (الثانية) بينما طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ، قال الله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾

المسلمين واستفزهم وسبخر منهم واستهان بأمرهم . وكانوا من أغنياء المدينة ، وكانت لهم حصون حربية بها .

وهم أول من نكث العهد من اليهود ، قال ابن إسحاق :
« وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع (بفتح أوله
وسكون ثانيه وضم ثالثه) كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين
رسول الله ﷺ وحاربوا فيها بين بدر وأحد .. »

تحدون النبي

وعندما تفاقم أمر يهود بني قينقاع ، واشتد طغيانهم ، جمعهم
النبي ﷺ (في مؤتمر عقده في سوقهم بالمدينة) حاول فيه إصلاحهم
وإرجاعهم عن غيهم . وإعادتهم إلى جادة الصواب والتزام نصوص
المعاهدة المبرمة بين المسلمين ويهود ..

فنصحهم وحذرهم من غيبة النبي . وذكرهم بالآثار المرة التي جنتها
قريش يوم بدر كحصيلة النبي والمدوان .

ولكن جواب يهود (إزاء هذا النصح النبوي والمحاولة الإصلاحية
الصادقة) كان في غاية الوقاحة المشوبة بالفطوسة والتحدى . حيث
أجابوا النبي عليه السلام على نصحه في هذا المؤتمر بقولهم :

يا محمد .. أتري أننا قومك (يعنى قريش) . لا يغرثك أنك لقيت
قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة .. أما نحن أما والله
لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس ^(١) .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ :

وأمام هذا الاستفزاز والتحدى ، كظم النبي ﷺ غيظه وتركهم ،
أوبق المسلمون صابرين ، ينتظرون ما تتخضض عنه الليالي .

الشرارة الأولى

واستبد الطغيان (بيهود بنى قينقاع) . فاستمروا في غيهم
واستهترامهم بالمسلمين وتحرشهم بهم ، حتى كانت الشرارة الأولى التي
أشعلوها (سفهاً) فأحاطوا أنفسهم بنيران الفتنة التي أذكوا لهيبتها
فوضعت حداً لظفانيهم وبغيهم وغدرهم .

فقد حدث أن امرأة مسلمة قدمت بحملٍ لها لتبيعه في سوق بنى
قينقاع ، ولما جلست إلى صائغ هناك اجتمع حولها نفر من اليهود
ينحرشون بها ، ويجرحون شعورها وأرادوها على كشف وجهها ، فأبّت
ذلك . فعمد أحد الصاغة اليهود إلى عقد طرف ثوبها إلى ظهرها (وهي
غافلة) فلما قامت انكشفت سوءتها فضحك اليهود منها وسخروا ،
فاستغاثت المرأة ، وكان أحد المسلمين حاضراً فوثب على الصائغ اليهودي
وقتلها ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

الحصار ثم السلم

وهكذا أشعل بنو قينقاع الشرارة الأولى ، ف وقعت الحرب بينهم
وبين المسلمين ، وقد أسرع اليهود إلى حصونهم استعداداً للحرب ،
واعترضوا فيها ، وكان ذلك في منتصف شهر شوال من السنة الثانية
 للهجرة (أى بعد معركة بدر بحتوالى خمسة وعشرين يوماً) .

وضرب النبي ﷺ عليهم الحصار خمس عشرة ليلة فحاربوه ، فلما اشتد عليهم الحصار اضطروا إلى التسليم ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ دون قيد أو شرط ، وكان الحصار بقيادة (أبى لبابة بشير بن عبد المنذر) وبعضهم يسميه رفاعة بن عبد المنذر (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الفئات اليهودية الأخرى فى المدينة وضواحيها (بالرغم من حرصهم على القضاء على المسلمين) لم يجرأوا على مساندة إخوانهم بنى قينقاع الذين وجدوا الجرأة فى انفسهم لمحاربة المسلمين .

رأس النفاق بتوسط

وكان عبد الله بن أبى بن سلول (١) الخزرجى (رأس المنافقين) حليفاً لبنى قينقاع فلما مكن الله رسوله منهم جاء ابن أبى إلي رسول الله ﷺ وطلب منه أن يصدر عنهم (بصفتهم حلفائه) عفواً عاماً وبعد محاولات متكررة من عبد الله بن أبى أصدر الرسول ﷺ عفواً عاماً عن هؤلاء اليهود ، بشرط أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروا المسلمين فيها ، فخرجوا وطهر الله المدينة من شرورهم وفسادهم .

وذكر ابن إسحاق (٢) أن يهود قينقاع لما نزلوا على حكم رسول الله ، قام إليه عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال :

« يا محمد أحسن فى موالى - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطناً عليه ﷺ فكرر ابن أبى طلبه ، فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٨ .

درع رسول الله ﷺ ، فتغير لون النبي ﷺ وقال له ، أرسلنى وغضب ﷺ حتى رأوا لوجه ظللاً ، ثم أعاد ﷺ وهو مغضب (أرسلنى ويحك) قال ابن أبى :

لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائى حاسر (١) ، وثلاثمائة دارع (٢) قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله : هم لك .

الغلاء عن المدينة

وقد عفا رسول الله ﷺ عن يهود بنى قينقاع على شرط أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروا المسلمين فيها ، فرحلوا إلى أنذرع الشام (٣) ولم يبقوا هناك طويلاً حتى أهلكهم الله (٤) وقد كان بنو قينقاع أول فئة يهودية يتم إجلاؤها عن المدينة .

وبالرغم من إخماد الرسول ﷺ لفتنة بنى قينقاع وعفوه الشامل عن مثيرى هذه الفتنة فإن الآخرين من يهود ، لم يتعظوا ولم يزدادوا إلا عناداً وحقدًا وتوغلاً فى الكيد لرسول الله ﷺ وصحبه ، وإثارة للقلق ، واغتناماً للفرص للقضاء عليه وعلى دعوته

(١) الحاسر : الذى لا درع له

(٢) الدارع : الذى عليه الدرع

(٣) أنذرع بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد فى طرف الشام وتجاوز أرض البلقاء

(٤) فقه السيرة ص ١٨٦

طاغية اليهود بتمرد

وكان المرابي الكبير كعب بن الأشرف الطائي ^(١) من أشد اليهود إيذاء لرسول الله ﷺ ونظاهراً بالدعوة إلى حربه .

كان كعب هذا من قبيلة طيء ^(٢) ثم من بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، وكان غنياً مترفاً ومن المشهورين بالجمال بين العرب .

ولما بلغه انتصار المسلمين في بدر قال .. إن بطن الأرض خير من ظهرها .

وبالرغم من اليهود والمواثيق التي عقدت بين المسلمين واليهود (والتي منها عدم مظاهرة قريش أو تأييدها) فإن كعباً هذا نكث بالمهد ، وخرج من المدينة يحرض قبائل العرب على الرسول ﷺ ، ويدعوهم إلى حربه ، حتى وصل إلى مكة وأخذ يحرض قريشاً على المسلمين ، ويشير حفائظهم ويذكي حقدهم على النبي ﷺ .

وقد لجأ هذا اليهودي الحاقد إلى كافة السبل لإثارة قريش ، وحتى الأشعار أذاعها يبكي فيها قتل بدر من المشركين والتي قال فيها يبكي أصحاب القايب :

طحنت رحى بدر لهلك أهله ولئل بدر نستهل وتدمع
وعندما كان كعب هذا بمكة سأله أبو سفيان بن حرب .. أى

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) طيء (بفتح الطاء) قبيلة عظيمة من قبائل كهلان ، من التحطانية ، تنتسب إلى طيء بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، كانت منازلهم باليمن ، ثم رحلوا عنها إلى نجد وانتشروا الكثر منهم في الحجاز والشام والمراق .

أقربين أهدى سبيلاً ، محمد وإسلامه ، أم قريش وأوثانها ٢٤ فقال
أنتم أهدى سبيلاً .

فأنزل الله تعالى بهذا الشأن (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من
الكتاب يؤمنون بالجيت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى
من الذين آمنوا سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيراً)^(١) .

مصراع الطاغية

ولم يرجع كعب بن الأشرف من رحلته الشريرة حتى حشد^(٢) قريشاً
لقتال النبي ﷺ ، ولما رجع إلى المدينة أخذ يعلن العداوة ويحرّض
الناس على قتال النبي و حرب المسلمين .

ولم يكنف بهذا ، بل أخذ يتحدّى شعور المسلمين ويشيب بنسائهم
(في أشعاره) بأسيأهن الصريحة ، مما أدى إلى إيذاء المسلمين .

وهكذا صار كعب بن الأشرف في منزلة العدو المحارب الذي لم
يبق له عهد ولا ذمة ، حيث أصبح مصدر تهديد لأمن المسلمين وخطراً
على كيأهم فأصبح من الضروري وضع حد لتصرفاته ، لتنجو الأمة
من شره وبلائه ، لاسيأ في تلك الظروف الحرجة التي هي (بالنسبة
للمسلمين) أشبه بالظروف الاستثنائية .

(١) النساء : ٥٢ .

(٢) مبدأ التحشد (كما يقول الواو الركن خطاب) مدأ من مبادئ الحرب ، وهو
جمع أكبر قوة عسكرية في المكان والزمان اللازمين .

فقد أصبح هذا المرابى اليهودى ومن يمالئه جبهة حربية تهدد المسلمين داخل المدينة ، لاسيما أن كعباً هذا من أغنى أغنياء العرب وله حصن منيع فى ضواحي المدينة ، ومن حواليه كثير من اليهود الذين بإمكانه أن يغريهم بنقض العهد الذى بينهم وبين الرسول ، ويقوم (بالاتفاق معهم) بهجوم مفاجيء كاسح على المسلمين داخل المدينة .

ولهذا قرر النبي ﷺ التخلص من هذا العدو اللدود ، فانتدب لقتله محمد بن مسلمة الأنصارى (١) مع جماعة من الأنصار قاموا بقتله خارج حصنه بضواحي المدينة ، كما هو مفصل فى أمهات التاريخ .

استكانة اليهود

وبهذا المواقف الحازمة التى اتخذها الرسول ﷺ إزاء استهتار بنى قينقاع بالعهود وعبث كعب بن الأشرف بالمواثيق تأكد اليهود ان الرسول لن يتوانى فى اللجوء الى قوة حين لايجدى النصح لمن يريد العبث بالأمن وإثارة القلاقل وعدم احترام العهود والمواثيق .

ويقتل كعب بن الأشرف أسرعت الافاعى ترتجف إلى جحورها وصار لدى المسلمين مايشبه اليقين بأن اليهود لن يخاطروا بأنفسهم (فى ذلك الظرف على الاقل) لإيذاء المسلمين أو مما لاة المشركين ضدهم .

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسى الأنصارى الحارثى ، من أجلاء الصحابة . ومن الأمراء المشهورين ، شهد بدرأ وكان ممن ثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لإتبوك ، وكان عمر بن الخطاب يعتمد عليه فى مراقبة الولاة والتفتيش عليهم ، اعتزل الفتنة أيام على ولم ينضم إلى أى من الجانبين ، مات رضى الله عنه بالمدينة سنة ٤٣ هـ

وبهذا استقرت الأحوال الداخلية فى المدينة (نوعاً ما) وانطوى اليهود على أنفسهم ولم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم (كعب بن الأشرف) بل لزموا الهدوء ، وتظاهروا بأنهم عند عهدهم .

وهنا تفرغ النبى لمواجهة الأحداث الخطيرة التى توقع حدوثها خارج المدينة ، من جانب الأعراب والمشركين وخاصة قريشاً الذين تأكد للمسلمين أنهم سيقومون بحرب واسعة النطاق ضدهم انتقاماً لما أصاب قريشاً فى بدر .

وفعلأ حدثت هذه الحرب المنتظرة ، فغزت قريش الباغية . محمداً ﷺ فى عقر داره . بجيش بلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، واشتبك الشرك مع التوحيد فى معركة طاحنة ، دارت فى ضواحي المدينة ، وهى معركة أحد التى نحن بصدها .

النشاط العسكرى قبل موقعة أحد

وفيما بين معركة بدر وموقعة أحد ، حدثت مناوشات عسكرية بين المسلمين من جهة وبين قريش وبعض اليهود ومشركى العرب من جهة أخرى . ولم يكن القرشيون والأعراب واليهود فى هذه المناوشات جبهة واحدة ، وإنما كانت مناوشات متفرقة أكثرها يأتى من ناحية المسلمين ، الذين كانوا أبسط الفريقين وأسرعهم لمباغطة هؤلاء الأعداء وضربهم فى أماكنهم قبل أن يتحركوا للعدوان .

والنشاط العسكرى الذى حدث قبل معركة أحد هو أشبه بدوريات عسكرية قام بها المسلمون ، أى أنه لم تدر فى تلك الفترة ما يمكن تسميته بمعارك التحم فيها الفريقان .

دوريات المسلمين

ويمكن تلخيص الأعمال العسكرية التي قام بها المسلمون بين معركة بدر وأحد كما يلي :

١ - حصار بني قينقاع : قام المسلمون بحصار يهود بني قينقاع في حصونهم داخل المدينة ، وكان ذلك في أوائل شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وكانت نتيجة هذا الحصار استسلام بني قينقاع . ثم إجلاؤهم عن المدينة ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ - قتل (كعب بن الأشرف) وقد تولى قتله محمد بن مسلمة الأنصاري مع جماعة من الأنصار كما تقدم تفصيل ذلك .

٣ - غزوة بني سليم^(١) : وهي دورية قتال قادها النبي ﷺ إلى منازل بني سليم وغطفان^(٢) الواقعة في قرقرة الكدر^(٣) وهي منطقة تقع على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام .

وسبب القيام بهذه الدورية^(٤) هو أن الرسول ﷺ بلغه أن قبائل

(١) سليم (بضم أوله وفتح ثانيه) قبيلة عظيمة من قبس بن عيلان من العدنانية ، وهي من قبائل مصر الشهيرة . تقع منازل هذه القبيلة في عالية نجد . وقد تفرعت هذه القبيلة إلى عدة عشائر وبتلون ملأت السهل والجبل . ويطلق اسم (سليم) على عدة قبائل غير عدنانية ، ومن هذه القبائل : قبيلة سليم من جذام من القحطانية . وقبيلة (سليم) بطن من المردان ، من عدة من شمر القحطانية . وقبيلة من بني مالك من جهينة ، وقد انتشرت بتلون هذه القبيلة العظيمة في أفريقيا والشام والعراق . ولا تزال عدة قبائل في العراق والسودان والأردن تسمى بهذا الاسم (سليم) حتى هذا اليوم .

(٢) غطفان (بفتح أوله وثانيه) بن سعد ، قبيلة يمانية عظيمة من كهلان ، من القحطانية ، وهم بنو غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام . تزحقت هذه القبيلة عن اليمن واستوطنت نجد بجوار بني سليم .

(٣) قرقرة الكدر (بضم الكاف وسكون الدال) ماء لبني سليم بينه وبين المدينة ثمانية مراحل .

(٤) الدورية جماعة من المحاربين إما للاستطلاع أو لقتال .

غطفان وسليم قد كونت اتحاداً فيما بينها ، وأخذت في التحشد لغزو المدينة ، فجرد ﷺ هذه الحملة التأديبية التي بلغت قوتها مائتي راكب وقد باغت النبي ﷺ هذه القبائل المحتشدة في عُقر دارها ، حيث وصل بقواته السريعة إلى مكان التحشد ودامهم على حين غفلة منهم ففروا بمجرد وصول المسلمين ، بعد أن تركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقد قسم النبي هذه الغنيمة أربعة أخماسها بين أفراد الجيش ، فخص كل رجل منهم بعيران ، وقد بنى الرسول ﷺ بجيشه في ديار سلم وغطفان ثلاثة أيام ، لإظهار هيبة المسلمين وإرهاب العدو ، ثم عاد أدراجه إلى المدينة دون أن يلقي حرباً ، وكانت هذه الدورية في أواخر شهر شوال من السنة الثانية للهجرة .

٤ - غزوة السويق

وهي قوة مطاردة ، ألقها الرسول ﷺ بسرعة ، لمطاردة القوة القرشية التي أغارت بقيادة أبي سفيان بن حرب^(١) على المدينة ليلاً خلسة .

وتفصيل ذلك أن أبا سفيان عند رجوعه من بدر نذر ألا يسر رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً ، ولذلك جهز مائتي راكب من قريش وقادهم إلى منطقة المدينة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة بهذه القوة ، وإنما قام بأعمال هي أشبه بأعمال القرصنة ، حيث عسكر بقوته على مسافة بعيدة من المدينة ، ثم دخل إليها تحت جناح الظلام مستخفياً

(١) مقدمة ترجمة أبي سفيان في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

ونزل على (سلام بن مشكم) اليهودى سيد بنى النضير ، فأواه الخائن ودله على عورات المسلمين ، ثم رجع إلى معسكره .

ولما رجع إلى قومه أرسل منهم مفرزة^(١) صغيرة فأغارت على ناحية بأطراف المدينة ، يقال لها (العريض) ليقوموا بأعمال التخريب ، وفعلاً قامت هذه المفرزة المتسللة بحرق مجموعة من النخيل وقتلت رجلين من المسلمين كانوا يعملان هناك ، ثم هربت هذه المفرزة القرشية إلى معسكرها بالوادي .

وفوراً علم المسلمون بعملية التسلل هذه فسارع الرسول ﷺ ، (على رأس قوة من أصحابه) لمطاردة أبى سفيان وجد فى مطارده ، ولكن أبى سفيان تمكن من الإفلات ، لأن حملته كانت من الفرسان الذين ألقوا بتمويناتهم (٢) من الطعام أثناء هربهم، ليكونوا أسرع على الهروب .

وقد وصل الرسول فى مطارته لأبى سفيان إلى منطقة قرقرة الكدر ، ثم عاد الى المدينة دون أن يلقي حرباً ، وكانت هذه الحركة فى شهر ذى الحجة من السنة الثانية .

٥ - غزوة ذي أمر

وهى أكبر حملة عسكرية يقودها الرسول ﷺ خارج المدينة قبل معركة أحد ، فقد بلغ عدد رجال هذه الحملة أربعمائة وخمسين مقاتلاً مابين راكب وراجل .

(١) المفرزة اصطلاح عسكري معناه جماعة قليلة خفيفة من المقاتلين ،
(٢) كانت المواد التموينية لقريش يومها من السوق ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السوق على اسم هذه المادة التى تخففوا من حملها بإلقائها للإمعان فى الهرب

وسبب هذه الحملة أن استخبارات (١) المدينة ، نقلت إلى القيادة فيها ، أن جمعاً كبيراً من بنى ثعلبة (٢) ومحارب (٣) احتشدوا بذي أمر ، وأن هدفهم الإغارة على أطراف المدينة .

فسارع الرسول ﷺ كعادته في إرهاب الأعراب ، فجهز هذه الحملة الكبيرة ، وقادها بنفسه ، لضرب هؤلاء الأعراب في ديارهم قبل أن يتحركوا .

وفي أثناء سير الرسول ﷺ بجيشه نحو العدو ، ألقى جنوده القبض على رجل من بنى ثعلبة المقصودين بالحملة فأدخل علي الرسول ﷺ فدعاه الرسول إلي الإسلام فأسلم ، وضمه الرسول الي مفرزة بلال .

ثم قال الرجل (واسمه حباب) للنبي ﷺ إنهم (أي بنى ثعلبة ومحارب) لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك إليهم لهربوا في رؤوس الجبال ، ثم صار هذا الرجل دليلاً لجيش النبي إلى أرض العدو .

وقبل أن يصل الرسول إلي مكان تجمع تلك القبائل ، بلغهم خبر حملة المدينة فسارعوا إلي الهرب ، وتفرقوا في رؤوس الجبال ، وقد كان قائد هذا التجمع رجلاً من بنى محارب اسمه (دعثور بن الحرث الغطفاني) .

وقد وصل الرسول ﷺ بجيشه الي مكان التجمع وهو الماء المسمى (بذي أمر) ولم يعد ﷺ إلي المدينة إلا بعد أن أقام هناك بجيشه

(١) الاستخبارات: الحصول على المعلومات من نوايا العدو بالطرق المختلفة ، وقسم الاستخبارات يطلق عليه في بعض النول قسم الأمن ، وفي بعضها ، قسم المباحث .

(٢) هؤلاء هم بنو ثعلبة بن أمية فخذ من غطفان الذين تقدمت ترجمتهم وثلعبه اسم لكثير من قبائل العرب ومنها قبيلة ثعلبة من كهلان من القحطانية .

(٣) محارب .. بطن من هيت بن بهثة من سننيم من ألدنانية ، وهي قبائل نجد .

شهرأ كاملاً ، وذلك ليُشعر الأعراب بقوة المسلمين ويرهب من نحدثه
نفسه بالاستخفاف بهم . وقد كان القيام بهذه الحملة في شهر محرم
من السنة الثالثة للهجرة .

محاولة اغتيال النبي

وقد حاول قائد قبائل بني ثعلبة ومحارب الذين فروا هرباً من
جيش المسلمين . حاول اغتيال النبي ﷺ وهو مسكر بذي أمر (مكان
تجمع القبائل) .

وتفصيل ذلك أن مطراً أصاب الجيش الإسلامي ، ابتلت على أثره
ثياب النبي ﷺ وثياب أصحابه فتزع الرسول ﷺ ثوبيه الوحيدين
الذين كانا معه ، ونشرهما على شجرة ليحفا ، ثم اضطجع ، وانشغل
بقية الجند كذلك بسبب ما أصابهم من المطر ، وفي هذا الظرف بالذات
تسلل (دعثور قائد قبائل العدو) لاغتيال النبي ﷺ مغتصباً فرصة
انشغال أصحابه بأنفسهم ، وكان دعثور هذا شجاعاً فاتكاً ، وقد حرصه
قومه على قتل النبي ، فقال لهم قتلتني الله إن لم أقتل محمداً .

وقد نجح دعثور هذا في التسلل (دون أن يشعر به أحد) حتى وصل
إلى النبي الذي لم يشعر إلا ودعثور قائماً على رأسه بالسيف مصلاً يريد
الفتك به . والنبي ﷺ كان أعزلاً لم يكن في يده أى سلاح .

ثم قال دعثور للنبي ﷺ :

من يملك مني الآن ؟؟ .

فقال له النبي ﷺ :

الله .

وبينما المحاوره تدور هكذا ، إذ وقع دعشور على ظهره فجأة ، فسقط
السيف من يده . فأخذه النبي ﷺ ثم قال لدعشور (والسيف وصلت
على رأسه) :

« من يمنعك مني ؟ »

فقال .. لا أحد . ثم أعلن إسلامه فوراً . فأعاد الرسول ﷺ إليه
سيفه ، وتوجه إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم أن الذي جعله
يقع على الأرض حتى سقط السيف من يده : رجل طويل دفع في صدره ،
وقال لهم لقد علمت أنه ملك فأسلمت .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الذي طرح دعشور على
الأرض حتى سقط السيف من يده . هو جبريل الذي دفع في صدره
حتى سقط على الأرض . وكانت هذه ثاني محاولة لاغتيال النبي ﷺ .
وقد أنزل الله تعالى في هذه الحادثة : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ،
واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون)^(١) .

٦ - غزوة بجران (٢)

وهي دورية قتال كبيرة قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول ﷺ
بنفسه إلى ديار بني سليم الذين بلغه أنهم يقومون بحشد قوات كبيرة
من قبائل تلك المنطقة لغزو المدينة .

(١) المائدة : ١١ :

(٢) بجران (بفتح الباء وضمها) . قال في السيرة الحلبية ، موضع بالحجاز معروف

بيته وبني المدينة ثمانية برد

فأسرع إليهم بجيشه ، وحث السير ليباغتهم ، قبل أن يتحركوا (كما
هى عادته) فى تأديب الأعراب .

ولكن بنى سليم لما بلغهم أن الرسول ﷺ قد تحرك بجيشه نحوهم ،
تفرقوا فى الجبال ولم يثبتوا للقاء ، ولكن الرسول (إمعاناً فى إرهابهم)
جاس بدوريته خلال ديارهم ، ولم يرحل عنها إلا بعد أن أقام بها شهرين ،
وقد كان القيام بهذه الحملة فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة .

٧ - سرية زيد بن حارثة

غير أن أهم هذه المناوشات (فى تلك الفترة) هى تلك الحملة
العسكرية الموفقة التى قادها زيد بن حارثة الكلبى ^(١) بعد سبعة أشهر من
معركة بدر .

وتفصيل ذلك أن قريشاً بعد هزيمتهم فى معركة بدر وسيطرة
المسلمين على منطقة يثرب حتى البحر غرباً أصبحوا لا يأمنون الطريق
الغربية التى كانوا يمررون عبرها بتجارتهن من الشام إلى مكة والتى تمر
بالقرب من يثرب .

وقد كانت هذه الطريق أيسر واقرب طريق بالنسبة لسير القوافل من
مكة إلى الشام وبالعكس ، فكان المكيون (عبر مئات السنين) يمررون بهذا
الطريق بقوافلهم ، فيدخلون الشام عن طريق الحدود الأردنية الحالية ،
وهى أول حدود الشام القديمة بالنسبة لجزيرة العرب ، حيث كان
(فى ذلك الوقت) كل من سورية والأردن وفلسطين ولبنان يُعبّر

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

عنه بالشام ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية فحصلت التجزئة الحالية .

ولما أصبحت هذه الطريق الغربية تحت سيطرة المسلمين (تقريباً) ، قرر القرشيون أن لاتمر قوافلهم مرة أخرى عبر هذا الطريق ، خوف وقوعها فى قبضة المسلمين ، وذلك على أثر مؤتمر عقده فى مكة ، قال فيه صفوان بن أمية ^(١) لقريش (وهو من كبار تجارها وقادتها) .

إن محمداً وصحبه عوروا علينا متجرنا (يعنى بسيطرتهم عليا الطريق الغربية) ، فما ندرى كيف نضنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعوهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى ديارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء .

وبعد مناقشات ومداولات تم الاتفاق بين زعماء قريش على أن تكون رحلاتهم التجارية الى الشام عبر الطريق الشرقية وهى طريق طويلة جداً تمر بأرض نجد ثم العراق حتى الشام ، وهى أطول وأكثر صعوبة من الطريق الغربية ، ولكنهم قرروا سولكها ظنا منهم أنها أكثر وأضمن سلامة من الطريق القديمة التى سيطر عليها المسلمون .

ولما كانت قريش تجهل هذه الطريق الجديدة كل الجهل ، استأجرت رجلا نجدياً من بنى بكر بن وائل (اسمه فرات بن حيان) ^(٢) ليدلهم على الطريق .

(١) مقدمة ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(١) هوفرات بن ثعلبة اليشكرى ثم العجلى حليف بنى سهم ، أسرته ، نورية زيد بن حارثة عند استيلائها على عير قريش بأرض نجد ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقد =

وفعلماً سافرت أول قافلة قرشية إلى الشام عبر هذا الطريق الجديد ،
وقد سافرت هذه القافلة بقيادة صفوان بن أمية ، يرافقه أبو سفيان
ابن حرب وغيره من قادة قريش .

استخبارات الرسول تكشف القافلة

وقد علم أحد رجال استخبارات الجيش الإسلامي خبير سفر هذه
القافلة : فسارع إلى إبلاغ القائد الأعلى النبي ﷺ ذلك ، وأطلعه على
تفاصيل الخطة الجديدة التي رسمتها قريش لمعاودة تجارتها مع الشام .

والذي نقل تفاصيل الخطة إلى الرسول ﷺ هو سليط بن النعمان^(١)
وذلك أنه حضر مجلساً للشراب في المدينة (وذلك قبل أن تحرم الخمر)
ضم هذا المجلس (في حى اليهود) كنانة بن أبي الحقيق اليهودي ،
ونعيم بن مسعود^(٢) وسليط بن النعمان هذا ، وكان نعيم على دين قومه ،

= ذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق ، وكان من هجرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم مدحه فقبل منه ، وقد أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً باليدامة تغل أربعة
آلاف ، وذكر ابن حبان أن فرات هذا من أعرف الناس بالطرق ، ولذلك اختارته
قريش ليكون دليلها في طريقها الجديد :

(١) لم أعثر له على ترجمته :

(٢) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي ، صحابي بليل ، كان في الجاهلية نديم
يؤد بني قريظة ، أسلم في إحدى الليالي التي كانت الأحزاب (بقيادة أبي سفيان) تحاصر
فيها المدينة وذلك سنة ٥ هـ وقد كان نعيم هذا يعمل ضد النبي (ضمن جيش الأحزاب)
لهدهاء الله للإسلام فأسلم ثم اتصل بالنبي (دون أن يعلم اليهود أو الأحزاب) بإسلامه ،
ووضع نفسه في خدمة الرسول ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت رجل واحد
فخلد عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فقام رضي الله عنه بدور هام في التفرقة
بين قادة الأحزاب وقادة بني قريظة مما كان له أكبر الأثر في تنازعهم وعدم ثقتهم
ببعضهم البعض الأمر الذي جعل أبا سفيان قائد الأحزاب ، يسارع بالانسحاب وفك -

ولا أخذت الخمر من رأس نعم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وسلوك القرشيين بها إلى الشام عبر الطريق الشرقية ، فسارع سليط ابن النعمان وأبلغ الرسول ﷺ ذلك .

مصادرة العير

فجهز الرسول ﷺ على الفور حملة قوامها مائة راكب أعطى قيادتها لزيد بن حارثة الكلابي وأمره بالتوجه نحو الطريق الشرقية الجديدة التي سلكتها قافلة قريش ، والتربص بهذه القافلة والاستيلاء عليها .

فأتجه زيد بحملته مسرعاً نحو نجد يتحسس خبر العير .

وإذا كان أبو سفيان قد نجحت مخابراته في اكتشاف حملة المسلمين التي خرجت من المدينة بقيادة الرسول ، للاستيلاء على عير قريش قبل سبعة أشهر ، ونجا بهذه العير التي نشبت - بعد إفلاتها - معركة بدر الكبرى ، فإن مخابرات العير هذه المرة لم تنجح في اكتشاف حملة زيد بن حارثة ، التي بوغنت بها مباغثة كاملة وأخذت على حين غرة ، ولعلها ما كانت تتوقع أن دوريات المسلمين العسكرية سيصل نشاطها إلى ذلك المكان البعيد .

ففي مكان بنجد يقال له قردة (بالتحريك)^(١) دهم زيد بن حارثة

= الحصار عن المدينة وترك بنى قريظة يلقون (على أيدي المسلمين) جزاء خيانتهم العظمى ، كما ستفصل ذلك في كتابنا القادم (غزوة الخندق وبنى قريظة) إن شاء الله : قتل نعم بن مسعود في أول خلافة علي في وقعة الجمل ، وقيل مات أيام عثمان .
(١) قال البغدادي في كتابه مرصد الاطلاع .. قردة (بالتحريك) ما أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة مبنى نعامه :: والرمة (بضم أوله مع التشديد) واد معروف بعالية =

عير قريش وهى نازلة على الماء فلم يكن من صفوان بن أمية وأبى سفيان
ومن معهما من حرس القافلة إلا ينجوا بجلدهم ، ففروا وتركوا العير دون
أن يبديوا أية مقاومة .

فاستولت دورية المسلمين على تلك العير دون قتال ، ووقع فى أسر
الدورية ثلاثة من حرس القافلة ، منهم دليلها (فرات بن حيان) .

وقد كانت الغنيمة فى الغزوة عظيمة جداً ، وكان أكثرها من الفضة
والأنية ، وقد قدرت قيمتها (على ما ذكره ابن كثير) بمائة ألف ، قسم
الرسول ﷺ أربعة أخماسها على أفراد الحملة ، واحتفظ بخمس واحد
للمصلحة العامة .

وبمصادرة هذه العير ، اشتد قلق قريش من المسلمين ، وازداد
حقدها وحنقها عليهم وازدادت تصميماً على غزوهم فى ديارهم .

= نجد ، وقال ابن دريد ، الرمة قاع عظيم بنجد تنصب فيه جملة أودية ، وقال الأصمعى بطن
الرمة واد عظيم يدفع عن يمين الفلجة الدثينة .

الفصل الثاني

* رسم الخطط - الاستعدادات

* الاستحضارات - التحركات

* تحديد مكان المعركة .

أسباب المعركة

نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة .

وقد كانت هذه المعركة ثانی معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركى مكة ، وهى أعظم من معركة بدر (حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها) .

وسبب هذه المعركة ، هو أن قريشاً لما هزمت فى معركة بدر ، وفتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها فى نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المسلمين ، وقررت (استعادة لهيبتها) مهاجمة المسلمين فى عقر دارهم .

فقد مشى زعماء مكة بعضهم إلى بعض وتذاكروا فيما لحق بهم من خذى وعار نتيجة الهزيمة التى نزلت بهم واتفقوا فيما بينهم على أنه لا يمكن محو هذا العار إلا بغزو المسلمين فى ديارهم ، وأن هذا هو السبيل

الوحيد لاستعادة مركزهم الممتاز الذي فقدوه بين سكان الجزيرة على أثر هزيمتهم في موقعة بدر .

الاستعداد للمعركة

وبينما كان المسلمون (عقب معركة بدر مباشرة) يقومون بحركاتهم العسكرية وتنظيماتهم الاجتماعية . ، (داخل المدينة ، وخارجها) لتوطيد سلطانهم وتأمين قاعدة دعوتهم (المدينة) ، كانت قريش من جانبها تقوم باستعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة التي قررت خوضها مع المسلمين في ديارهم .

وقد كان عكرمة بن أبي جهل^(١) وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن أبي ربيعة^(٢) ، أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة ، فقد كان هؤلاء هم المحرك الدائم لقبائل قريش ، بل ولن جاورها من قبائل كنانة وثقيف ، وتبيجهم ضد النبي وتحريضهم على الاشتراك في حربه .

ميزانية الحملة

وكان أول هذه الاستعدادات العملية ، هو وضع ميزانية ضخمة لتمويل هذا الغزو الذي قررت مكة القيام به إلى أرض يثرب لضرب المسلمين فيها .

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

(٢) لم أعتبر له على ترجمة إلا أن ابن برهان الدين ذكر في السيرة أنه أسلم :

لقد اجتمع زعماء قريش في برلمانهم (دار الندوة) للتشاور في الأمر ، وبعد مناقشات ومداولات ، وافقوا بالإجماع على اقتراح قدمه كل من حكمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبي ربيعة ، يقضي برصد خمسين ألف دينار ذهباً (وهو ما يساوى اليوم حوالى مليون ريال سعودى) كميزانية لذلك الغزو ، كما وافق (برلمان قريش) بالإجماع هل أن يكون هذا الرصيد من أموال العير المشؤومة التى نجاها أبو سفيان من قبضة جيش المدينة قبل معركة بدر بقليل .

فقد احتجزت قريش تلك العير وأوقفتها في دار الندوة ولم تعط لأربابها شيئاً منها حتى اتخذت قريش ذلك القرار الذى يقضى برصد ميزانية الغزو من أموال هذه العير ^(١) .

وفد أنزل الله تعالى في تدبيرات قريش الحربية هذه قوله :
(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسبفوقها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ^(٢) .

المتطوعون في الغزو

كما وافق برلمان قريش على (اقتراح قدمه صفوان بن أمية) يقضى بفتح باب التطوع لغير القرشيين من القبائل المجاورة للمشاركة في غزو المسلمين ، على أن ترسل قريش مندوبين للقيام بهذه المهمة ، لتشجيع قبائل كنانة على هذا التطوع .

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣ :

(٢) الأنفال : ٣٦ .

وقد اختارت قريش لهذه المهمة شاعرين من قبيلة (جُمح القرشية)
أحدهما مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح (بضم الجم
وقتح الميم) ^(١) والثانى أبو عزة (عمرو بن عبد الله الجمحي) ^(٢) أما أبو
عزة فقد استدعاه صفوان بن أمية (وكان من أغنياء قريش) وطلب منه
القيام بمهمة تحريض قبائل كنانة على التطوع لحرب محمد قائلًا :

(ياأبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فقال : إن محمداً قد
من على فلا أريد أن أظاهر عليه) .

فأغراه صفوان قائلًا:

(فأعنا ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل
بناتك مع بناتى يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر) ، فانصاع أبو عزة
لإغراء صفوان .

فخرج الشاعران إلى قبائل كنانة يحضانها على الاشتراك مع
قريش فى حرب النبى ﷺ .
وكان مما قاله مسافع يحرض بنى مالك من كنانة ، ناشدًا إياهم
الرحم والجوار :

يامال ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

(١) قال فى السيرة الحلبية إن مسافعا هذا لايعلم له إسلام ، لكن فى كلام ابن عبد
البر : مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة ، وكان شاعراً .
(٢) أبو عزة هذا أسره المسلمون فى غزوة بدر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم من
عليه لفقره وكثرة بناته ، على أن لا يظاهر عليه أحداً ، ولكنه غدر ، فأسر مرة أخرى فى معركة
أحد فضربت عنقه .

ومما قاله أبو عزة داعياً كنانة إلى محاربة المسلمين :
إيهاباً بنى عبد مناة الرّزام أنتم حماة وأبوكم حام
وتعدوني نصركم بعد العام لاتسلموني لايحل إسلام

وقد نجح هذا الشاعران فى مهمتهما حيث أقنعا كثيراً من أفراد قبائل كنانة المجاورة لقريش بالتطوع فى جيش مكة لغزو المسلمين .

مبلغ قوة قريش الغازية

وقد بلغت قوة قريش فى هذه الحملة ثلاثة آلاف مقاتل . منهم :
ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحايبيشها (١) ومائة من قبائل كنانة المتطوعين .

أما سلاح النقليات فقد كان فى هذه الحملة ثلاثة آلاف بغير ومعهم من سلاح الفرسان مائتا فرس جنبؤها حتى أحد أما سلاح الوقاية فقد كان لهم منه سبعمائة درع .

توزيع القيادة

وقد انتخبت قريش أبا سفيان بن حرب قائداً عاماً للجيش كما أعطت قيادة سلاح الفرسان لخالد بن الوليد (٢) بمعاونة عكرمة بن أبى جهل .

(١) الاحايبيش قبائل غير قرشية ، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، حالفوا قريشاً ، وسبب تسميتهم بالاحايبيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبشى يقع أسفل مكة ، وتحالفوا عنده على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضح نهار وما رسأ حبشى مكانه ، فسموا احايبيش باسم الجبل
(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى ، سيف الله ، القائد المظفر الشهير والصحابى الفاتح الكبير، كان من أشرف قريش فى الجاهلية ، يلى أعنة الخيل فى =

كما أسندت مهمة حمل اللواء (وهو علم الجيش) إلى بنى عبد الدار
ابن قصى .

وكان حامل اللواء عند الصدمة الأولى طاحه بن أبى طلحة العبدرى
الذى كان أول قتيل من حملة اللواء الذين أبادهم المسلمون فى أول
المعركة عن بكرة أبيهم حتى سقط لواء قريش على الأرض ونزلت
بهم المزيمة .

نساء القادة فى الجيش

وزيادة من قريش فى التصميم على القتال ، ولثلا يحدث أحد
منهم نفسه بالفرار من المعركة استصحب قادة قريش معهم نساءهم
إلى المعركة .

وكان عدد النساء اللواتى خرجن مع الجيش إلى أحد خمس عشرة
امراة .

فخرج أبو سفيان بن حرب بزوجه هند ^(١) بنت عتبة بن ربيعة .

= الحروب لها ، شهد مع المشركين حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية أسلم هو وعمرو
ابن العاص قبل فتح مكة سنة ٨٧ هـ ، فسر رسول الله بإسلامه وولاه قيادة الخيل ، وجهه
أبو بكر الصديق لمحاربة المرتدين فى نجد ، فأخضعهم بعد أن قتل مسيلمة الكذاب ، ثم
نوجه إلى العراق سنة ١٢ هـ فقام بفتح جانب عظيم من العراق ، ثم توجه إلى الشام (بأمر
الخليفة أبى بكر) وتولى قيادة الجيوش فيها للحرب الروم ، عزله عمر بعد أن تولى الخلافة
وتولى أباعبيدة بن الجراح مكانه ، فلم يثن ذلك من عزيمته بل ظل يقاتل بإخلاص بين
يدى أبى عبيدة إلى أن تم لهما الفتح عام ١٤ هـ ، قال فيه أبو بكر الصديق : عجزت
النساء أن يلدن مثل خالد ، روى البخارى ومسلم له ١٨ حديثاً ، نوفى رضى الله عنه
بمحص (فى سورة) عام ٢١ هـ :

(١) هى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابية ، قرشية ،
عالية الشهرة ، وهى أم الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، تزوجت أباً سفيان بعد أن فارقتها =

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزواجه : أم حكيم^(١) بنت الحارث
ابن هشام بن المغيرة .

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، بزوجه فاطمة بنت الوليد^(٢)
ابن المغيرة .

زوجها الأول الفاكهة بن المغيرة المخزومي ، كانت فصيحة جرئية صاحبة رأي وحزم ،
ومن كلامها المأثور « المرأة غل لا بد للعنق منه فانظر من تضعه في عنقك » أسلمت يوم فتح
مكة ، وكان النبي قد أهدر دمه فيها أهدر ، فجاءته مع بعض نساء قريش إلى الأبطح ،
فأعلنت إسلامها ، فرحب بها الرسول ، وعندما أخذ الرسول البيعة على النساء وكانت
يبتهن قال (ضمن شروط البيعة) وأن لا يسرقن ولا يزني ، فقالت هند مستغربة (وهل
تزني المرأة أو نسرق يا رسول الله ؟) ولما قال « ولا يقتلن أولادهن » قالت هند :
(وبيناهم صغاراً وقتلتهم أنت بيوم بدر كباراً) وكان لما صنم تبعده في بيتها : فلما
أسلمت عادت إليه وأخذت نصره بالقدم حتى حطته وهي تقول : . كنا منك في غرور ،
كانت هند من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، شهدت هند
معركة اليرموك وكانت تمحرض على قتال الروم ، وكانت طموحة للغاية ، نظرت بعض
العقلاء إلى ابنها معاوية وهو معها ، فقال لها : . إن عاش ساد قومك ، فقالت ثكلته إن
لم يسد إلا قومك ، توفيت هند سنة ٣٦ هـ :

(١) هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية ، أسلمت بعد فتح مكة مباشرة ،
وكان زوجها عكرمة بن أهدر الرسول دمهم ولو نعلتوا بأستار الكعبة ، فهرب زوجها
إلى اليمن ، فأخذت له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إليه وأحضرته معها ،
فأسلم وحسن إسلامه ، ولما استشهد زوجها في اليرموك تزوجها بعده خالد بن سعيد
ابن العاص قائد إحدى كتائب جيش الشام ، وهم في الميدان ، ولما كانت معركة (مرج
الصفراء بالشام) أراد خالد أن يدخل بها والمركة على الأبواب ، فقالت له : لو تأخرت
حتى يهزم الله هذه الجوع ، فقال رضى الله عنه إن نفسي محمدني أني أقتل ، قالت
فدونك ، فأعرس بها ثم أقبلت جيوش الروم صبيحة تلك الليلة ، فنشبت المعركة بين
الروم والمسلمين فانتلوا على النهر فاستشهد زوجها خالد بن سعيد كما استشهدت هي
أيضاً يوم ذلك بعد أن قتلت (بعمود القسطنطين الذي أعرس بها خالد فيه) سبعة من الرومان
ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة :

(٢) هي فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد بن الوليد ، أسلمت يوم الفتح
وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابية كريمة كانت عاقلة ذات رأي ، وكان =

وخرج صفوان بن أمية بزوجه برزة (١) بنت مسعود بن عمر الثقفية.

وخرج عمرو بن العاص بزوجه ريطة (٢) بنت منبه بن الحجاج وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلاقة (٣) بنت سعد بن شهيد الأنصارية وخرجت ، خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك مع ابنها أبي عزيز ابن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين رضى الله عنه .

وخرجت عمرة بنت علقمة ، إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة من كنانة .

التحريض على اغتيال حمزة

وقبل خروج الجيش من مكة ، دعا جبير بن مطعم (٤) غلاماً

= أخوها خالد (على عظم منزلته العسكرية) يستشيرها فى بعض أمره ، خرجت مع زوجها الحارث الى الشام فى الغزو، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً (١) هى برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ، أسلمت مع زوجها صفوان بن أمية عام الفتح .

(٢) هى ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية ، وهى والدة عابد الصحابة (عبد الله بن عمرو بن العاص) أسلمت بعد زوجها ، وذلك يوم الفتح على ما ذكره الواقدي ، وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) هى سلاقة بنت سعد الانصارية الأوسية والدة عثمان بن طلحة ، قتل عنها زوجها (قائد كتيبة لواء المشركين يوم أحد) صحابية أسلمت عام الفتح ، وهى التى كان عندها مفتاح الكعبة يوم فتح الرسول مكة .

(٤) جبير بن مطعم (بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى كان من زعماء قريش فى الجاهلية ، أسلم وحسن إسلامه ، فهو صحابى جليل ، وكان من كبار علماء قريش وساداتهم ، وهو من أعرف قريش بأنسب العرب ، =

له حبشياً اسمه (وحشى)^(١) كان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها ، دعاه وطلب منه أن يخرج مع الجيش ، وطلب منه أن يترصد حمزة ابن عبد المطلب ويقتله بالحربة ، وقال له :

إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (وكان حمزة هو الذى قتله يوم بدر) فأنت عتيق ، فوعده ذلك ، وفعلا قام الحبشى باغتيال سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه والمعركة على أشدها كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله .

جيش مكة يتحرك نحو المدينة

وبعد أن أتمت قريش استحضرات الحركة ، وأتمت كامل تجهيزاتها أخذت فى التحرك بجيشها الضخم نحو المدينة

وكان جيش مكة هذه المرة على غاية من التنظيم والاستعداد ، وقد تجنب قادة مكة الاختلاف هذه المرة فلم يحدث أى شقاق فى الرأى حتى انتهت المعركة .

نشاط الاستخبارات النبوية

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبى ﷺ) قد رجع من المدينة بعد إن تم إطلاق سراحه من الأسر بالفداء الذى دفعه عن نفسه ، كما فصلنا ذلك فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

= فقد عده الجاحظ فى النسايين ، وفى الاصابة ، كان كأتسب قريش لقريش والعرب قاطبة روى له البخارى ومسلم ستين حديثاً ، توفى رضى الله عنه عام تسعة وخمسين هـ .
(١) هو وحشى بن حرب ، أبو دسمة ، من موالى بنى نوفل ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، صحابى أسلم مع وفد أهل الطائف ، شهد معركة اليرموك ، وشهد =

ولكنه بالرغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصاً لابن أخيه
النبي ﷺ ، فكان يخشى عليه الفؤار ، وكان لذلك يرقب حركات
قريش واستعداداتها العسكرية .

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش في التحرك
أرسل من مكة رسالة مستعجلة ، مع أحد رجاله الأتقاء ، ضمن هذه
الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة ، فذكر فيها عدد القوات
واليوم الذي خرجت فيه وغير ذلك مما يجب أن يعرفه الرسول ﷺ ،
عن جيش عدوه .

كيف تلقى الرسول نبأ الغزو

وقد أسرع رسول العباس (وهو رجل من غفار) بالرسالة وجد في
السير ، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام ، مع
أن قطعها (عادة) لا يتم إلا في عشرة أيام .

وقد سلم رسول العباس رسالته إلى النبي ﷺ وهو في مسجد
قبا^(١) .

ولما كان الرسول ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فقد دفع الكتاب

مع نخاليد بن الوليد حرب الردة ، وكان أحد اثنين قتلوا مسيلمة الكذاب ، وكان يقول
بعد ذلك ، قتلت بحربتي هذه خير الناس (يعني حمزة) وشر الناس (يعني مسيلمة
الكذاب) مات وحشي بمحص عام خمسة وعشرين ٨ :

(١) قبا (بضم القاف) ، قال في مراصد الاطلاع :: قرية قرب المدينة ، وهي
مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار ، على ميلين من المدينة على مسار القاصد إلى مكة ،
ولها مسجد التقوى :

إلى أبي بن كعب^(١) ليقرأه عليه ، وبعد أن عرف الرسول عليه السلام
مضمون رسالة عمه العباس ، طلب من أبي بن كعب أن يكتم الخبر ،
ولا يبوح لأحد منه بشيء .

استعداد المدينة للمعركة

ونَهَضَ ﷺ من فوره ، وعاد إلى المدينة . وأخذ في الانصال
بقيادة المهاجرين والأنصار ، ليتداول معهم الأمر لمواجهة الموقف .
وكان ﷺ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع وأطلعه
على خبر رسالة العباس . فقال والله إنى لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه
إياه . فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته ،
ما قال لك رسول الله ؟؟ .

فقال لها لا أم لك وأنت وذاك ، فقالت قد سمعت ما قال لك ،
وأخبرته بما أسر به إليه الرسول ﷺ فاسترجع سعد ، وأخذ بيد
زوجته ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال . يا رسول الله ،
إني خفت أن يفشو الخبر فتري أنى أنا المغشى له وقد استكتمنى إياه
فقال رسول الله ﷺ خل عنها .

(١) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصارى النجارى ، سيد القراء ، صحابى
جليل شهد بيعة العقبة الثانية ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله وهو الذى قال له
النبى صلى الله عليه وسلم ، ليهلك العليل أبى المنذر ، (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك)
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسميه سيد المسلمين ، وكان أول من كتب للنبي
صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد من أصحاب الفتيا الستة ، كان عمر يسأله عن النوازل
ويتحاكم إليه فى المعضلات ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسبعة
وخمسين حديثاً ، مات كعب رضى الله عنه سنة ثلاثين هـ فى عهد عثمان بن عفان :

حالة الطوارئ في المدينة

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكي نحوهم ، ظلوا متيقظين ، وظلت المدينة في حالة استنفار عام ، على رجالها السلاح لايفارقهم ، حتى وهم في أوقات الصلاة استعداداً للطوارئ.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها ، خوفاً من أن يؤخذوا على غرة .

وانتخبت مفرزة من الانصار لحراسة رسول الله ﷺ في بيته ، وقد كان ضمن هذه المفرزة ثلاثة من سادات الانصار ، هم (سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ^(١) وسعد بن عباد) باتوا وعليهم السلاح في المسجد علي باب رسول الله ﷺ يحرسونه .

محاولة نبش قبر والدة الرسول

تابعت جيوش مكة سيرها نحو المدينة ، وقد سلكت الطريق الغربية المعتادة ، التي تمر بعسفان ثم خليص ، فالجحفة ، فرابع ، فالأبواء ، فالمدينة ^(٢) .

ولما وصل جيش مكة إلى الأبواء ، (وهو مكان دفنت فيه أم الرسول الأعظم ﷺ أمينة بنت وهب) ^(٣) أشارت هند بنت عتبة

(١) تقدمت ترجمتهما في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٢) تقدم تحقيق وتحديد هذه الأماكن في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(٣) هي أم سيد الأنبياء ، أمينة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب ، تزوجها عبد الله بن عبد المطلب ، وهي أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، أمها لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القرشية ، توفيت أم سيد الأنبياء أمينة لست سنوات لمولد ابنها صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاتها بالأبواء =